

علم أصول الفقه

سوره مبارکه الأنبياء ٩-١٢-٩٥ ٧١

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (1)

مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ
(2)

لَا هِيَءَ قُلُوبُهُمْ وَ أَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ
مِثْلَكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (3)

قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (4)

بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ
(5)

مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ (6)

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7)

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ مَا كَانُوا خَالِدِينَ (8)

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَ أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (9)

سورة الأنبياء

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَ فَلَآ تَعْقِلُونَ (10)

وَ كَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَ أَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11)

فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12)

لَا تَرْكُضُوا وَ اِرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13)

قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14)

فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (15)

سورة الأنبياء

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16)

لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (17)

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَ لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
(18)

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَحْسِرُونَ (19)

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفُتُونَ (20)

سورة الأنبياء

أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21)

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا
يَصِفُونَ (22)

لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَ
ذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ
(25)

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26)

لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27)

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ
مُشْفِقُونَ (28)

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
(29)

سورة الأنبياء

أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ (31)

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (32)

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33)

سورة الأنبياء

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ (34)

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِنِنَّا تُرْجِعُونَ (35)

وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أ هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَ هُمْ
بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (36)

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ (37)

وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38)

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ
النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (39)

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا
هُمْ يُنظَرُونَ (40)

وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ
سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (41)

قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ
بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ (42)

أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّْا يُصْحَبُونَ (43)

بَلْ مَنَعْنَا هُوُلَاءَ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ
الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ
نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (44)

سورة الأنبياء

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَ لَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ
(45)

وَ لئنِ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ (46)

وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ
كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (47)

سورة الأنبياء

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ وَ ضِيَاءً وَ ذِكْرًا
لِّلْمُنْتَقِينَ (48)

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ
(49)

وَ هَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (50)

سورة الأنبياء

وَ لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ
(52)

قَالُوا وَ جَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53)

قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54)

قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ
(55)

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي
فَطَّرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56)

وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ
(57)

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58)

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59)

قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60)

قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61)

قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ (62)

قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63)

فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64)

ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هُوَ لِأَنْ يَنْطِقُونَ (65)

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا
وَلَا يَضُرُّكُمْ (66)

أَفْ لَكُمْ وَ لِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَ فَلَا
تَعْقِلُونَ (67)

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَ انصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ (68)

قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69)

وَ أَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70)

وَ نَجَّيْنَاهُ وَ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71)

وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72)

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ
وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73)

وَأُولَآئِكَ أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي
كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (74)

وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (75)

وَ نُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76)

وَ نَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77)

وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَخُكِّمَانِ فِي الْحَرَّةِ إِذْ نَفَسَتْ
فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78)

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَ كَلَّمَآ أَنبِيَا حُكْمًا وَ عَلِمَاءَ وَ سَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فَاعِلِينَ (79)

سورة الأنبياء

- ثم قال و اذكر يا محمد «داوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ»
في الوقت الذي «نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ» وَ النَفْسُ لَا يَكُونُ إِلَّا لَيْلًا
على ما قاله شريح. و قال الزهري: الهمل و النشر بالنهار، و النفس
بالليل، و الحرث الذي حكاه فيه: قال قتادة: هو زرع وقعت فيه الغنم
ليلا، فأكلته. و قيل: كرم قد نبتت عنا قيده- في قول ابن مسعود- و
شريح.

سورة الأنبياء

- و قيل: ان داود كان يحكم بالغنم لصاحب الكرم. فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله. قال: و ما ذاك؟ قال: يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، و تدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا عاد الكرم كما كان دفع كل واحد الى صاحبه - ذكره ابن مسعود - و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع)

سورة الأنبياء

- و قال ابو علي الجبائي: أوحى الله الى سليمان مما نسخ به حكم داود الذى كان يحكم به قبل. و لم يكن ذلك عن اجتهاد، لان الاجتهاد لا يجوز ان يحكم به الأنبياء. و هذا هو الصحيح عندنا.
- و قال ابن الاخشاذ، و البلخي و الرمانى: يجوز أن يكون ذلك عن اجتهاد، لأن رأى النبى أفضل من رأى غيره، فكيف يجوز التعبد بالتزام حكم غيره من طريق الاجتهاد، و يمتنع من حكمه من هذا الوجه.

سورة الأنبياء

- و الدليل على صحة الاول ان الأنبياء (ع) يوحى اليهم، و لهم طريق الى العلم بالحكم، فكيف يجوز أن يعملوا بالظن؟! و الامة لا طريق لها الى العلم بالاحكام فجاز ان يكلفوا ما طريقه الظن؟! على ان عندنا لا يجوز في الأمة ايضاً العمل على الاجتهاد. و قد بينا ذلك في غير موضع. و من قال: انهما اجتهدا، قال أخطأ داود و أصاب سليمان.

سورة الأنبياء

- و ذكروا في قوله «إِذْ يَحْكُمَانِ» ثلاثة أوجه:
- أحدها- إذ شرعا في الحكم فيه من غير قطع به في ابتداء الشرع.
- و ثانيها- ان يكون حكمه حكما معلقا بشرط لم يفعله بعد.
- و ثالثها- أن يكون معناه طلبا بحكم في الحرث، و لم يبتدئا به بعد.

سورة الأنبياء

- و يقوى ما قلناه قوله تعالى «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» يعنى علمنا الحكومة فى ذلك سليمان. و قيل: ان الله تعالى «فهم سليمان» قيمة ما أفسدت الغنم.
- ثم أخبر تعالى بأنه آتى كلا حكما و علما، فدل على ان ما حكم به داود كان بوحى الله، و تعليمه. و قيل: معنى قوله «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» أى فتحنا له طريق الحكومة، لما اجتهد فى طلب الحق فيها، من غير عيب على داود فيما كان منه فى ذلك، لأنه اجتهد: فحكم بما أدى اجتهاده اليه.

سورة الأنبياء

- قوله تعالى: «و داوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ - إلى قوله - حُكْمًا وَ عِلْمًا» الحَرْث الزرع و الْحَرْث أيضا الكرم، و النَفَش رعى الماشية بالليل، و فى المجمع: النَفَش بفتح الفاء و سكونها أن تنتشر الإبل و الغنم بالليل فترعى بلا راع. انتهى.

سورة الأنبياء

- و قوله: «و داوُدَ و سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ»
السياق يعطى أنها واقعة واحدة بعينها رفع حكمها إلى داود لكونه هو
الملك الحاكم في بني إسرائيل
- و قد جعله الله خليفة في الأرض كما قال: «يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً
فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ» - ص: ٢٦ فَإِنْ كَانَ سُلَيْمَانَ
يُدَاخِلُ فِي حُكْمِ الْوَأَقَعَةِ فَعَنْ إِذْنِ مِنْهُ وَ لِحِكْمَةِ مَا وَ لَعَلَّهَا إِظْهَارِ
أَهْلِيَّتِهِ لِلْخِلَافَةِ بَعْدَ دَاوُدَ.

سورة الأنبياء

- و من المعلوم أن لا معنى لحكم حاكمين فى واقعة واحدة شخصية مع استقلال كل واحد منهما فى الحكم و نفوذه، و من هنا يظهر أن المراد بقوله: «إِذْ يَحْكُمَانِ» إذ يتناظران أو يتشاوران فى الحكم لا إصدار الحكم النافذ، و يؤيده كمال التأييد التعبير بقوله: «إِذْ يَحْكُمَانِ» على نحو حكاية الحال الماضية كأنهما أخذتا فى الحكم أخذاً تدريجياً لم يتم بعد و لن يتم إلا حكماً واحداً نافذاً و كان الظاهر أن يقال: إذ حكما.

سورة الأنبياء

- و يؤيده أيضا قوله: «وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» فَإِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ ضَمِيرَ «لِحُكْمِهِمْ» لِلأَنْبِيَاءِ وَ قد تكرر في كلامه تعالى أَنَّهُ آتَاهُمُ الحُكْمَ لَا كَمَا قِيلَ: إِنَّ الضَّمِيرَ لِدَاوُدَ وَ سَلِيمَانَ وَ المَحْكُومَ لَهُمْ إِذْ لَا وَجْهَ يُوْجِهُ بِهِ نِسْبَةَ الحُكْمِ إِلَى المَحْكُومِ لَهُمْ أَصْلًا فَكَانَ الحُكْمُ حُكْمًا وَاحِدًا هُوَ حُكْمُ الأَنْبِيَاءِ وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ ضَمَانٌ صَاحِبِ الغَنَمِ لِلْمَالِ الذِي أَتْلَفْتَهُ غَنَمَهُ.

سورة الأنبياء

- فكان الحكم حكما واحدا اختلفا في كيفية إجرائه عملا إذ لو كان الاختلاف في أصل الحكم لكان فرض صدور حكمين منهما بأحد وجهين إما بكون كلا الحكمين حكما واقعا لله ناسخا أحدهما - و هو حكم سليمان - الآخر و هو حكم داود لقوله تعالى: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» و إما بكون الحكمين معا عن اجتهاد منهما بمعنى الرأى الظنى مع الجهل بالحكم الواقعى و قد صدق تعالى اجتهاد سليمان فكان هو حكمه.

سورة الأنبياء

- أما الأول و هو كون حكم سليمان ناسخا لحكم داود فلا ينبغي الارتباب في أن ظاهر جمل الآية لا يساعد عليه إذ النسخ و المنسوخ متباينان و لو كان حكماهما من قبيل النسخ و متباينين لقل: و كنا لحكماهما أو لحكميهما ليدل على التعدد و التباين و لم يقل:

سورة الأنبياء

- «وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» المشعر بوحدة الحكم و كونه تعالى شاهدا له الظاهر في صونهم عن الخطأ، و لو كان داود حكم في الواقعة بحكم منسوخ لكان على الخطأ، و لا يناسبه أيضا قوله: «وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» و هو مشعر بالتأييد ظاهر في المدح.

سورة الأنبياء

- و أما الثاني و هو كون الحكمين عن اجتهاد منهما مع الجهل بحكم الله الواقعي فهو أبعد من سابقه لأنه تعالى يقول: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» و هو العلم بحكم الله الواقعي و كيف ينطبق على الرأي الظني بما أنه رأى ظني. ثم يقول: وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَ عِلْمًا فيصدق بذلك أن الذي حكم به داود أيضا كان حكما علميا لا ظنيا و لو لم يشمل قوله:
- «وَ كُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَ عِلْمًا» حكم داود في الواقعة لم يكن وجه لإيراد الجملة في المورد.

سورة الأنبياء

- على أنك سمعت أن قوله: «وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» لا يخلو من إشعار بل دلالة على أن الحكم كان واحداً و مصوناً عن الخطأ. فلا يبقى إلا أن يكون حكمهما واحداً في نفسه مختلفاً من حيث كيفية الإجراء و كان حكم سليمان أوفق و أرفق.
- و قد وردت في روايات الشيعة و أهل السنة ما إجماله أن داود حكم لصاحب الحرث برقاب الغنم و سليمان حكم له بمنافعها في تلك السنة من زرع و صوف و نتاج.

سورة الأنبياء

- و لعل الحكم كان هو ضمان ما أفسدته الغنم من الحرث على صاحبها و كان ذلك مساويا لقيمة رقاب الغنم فحكم داود لذلك برباقها لصاحب الحرث، و حكم سليمان بما هو أرفق منه و هو أن يستوفى ما أتلفت من ماله من منافعها في تلك السنة و المنافع المستوفاة من الغنم كل سنة تعدل قيمتها قيمة الرقبة عادة.

سورة الأنبياء

- فقوله: «وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ» أى و اذكر داود و سليمان «إِذْ» حين «يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ» «إِذْ» حين «نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ» أى تفرقت فيه ليلاً و أفسدته «وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ» أى لحكم الأنبياء، و قيل: الضمير راجع إلى داود و سليمان و المحكوم له، و قد عرفت ما فيه، و قيل: الضمير لداود و سليمان لأن الاثنين جمع و هو كما ترى «شَاهِدِينَ» حاضرين نرى و نسمع و نوقفهم علي وجه الصواب فيه «فَفَهَّمْنَاهَا» أى الحكومة و القضية «سُلَيْمَانَ وَ كُلًّا» من داود و سليمان «آتَيْنَا حُكْمًا وَ عِلْمًا» و ربما قيل: إن تقدير صدر الآية «وَ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ حُكْمًا وَ عِلْمًا» إذ يحكمان إلخ.